

99569 - حديث هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان

السؤال

أود أن أعرف رأيكم بشأن شرح الحديث رقم (990) في صحيح البخاري ، الذي لم يدع فيه النبي صلى الله عليه وسلم لنجد ، حيث قال : إن الفتنة والزلازل ونفير الشيطان سيخرجون من نجد . وقد سمعت بعض العلماء يشيرون إلى هذا الحديث عند الحديث عن علماء نجد ، كالشيخ عبد الوهاب رحمه الله ، كما يصح القول بأن كثيرا من زعماء الحركة السلفية ينحدرون من نجد . فما هو الشرح الصحيح لهذا الحديث الصحيح .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الحديث المقصود في السؤال جاء عن جماعة من الصحابة ، ورواه عنهم جماعة كبيرة من التابعين ، وأنقل واحدا من هذه الأحاديث ، فهي متقاربة في اللفظ والمعنى :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وَفِي يَمَنِنَا . قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وَفِي يَمَنِنَا . قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ : هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) رواه البخاري (1037) ومسلم (2905) ، واللفظ للبخاري .

ثم الكلام على هذا الحديث في مسائل :

المسألة الأولى :

من المعلوم لدى أهل العلم أن ما ورد في الكتاب أو السنة من النصوص التي فيها تفضيل بعض الأماكن أو الأقوام على بعض ، لا يعني ذلك أبدا تفضيلا لكل من انتسب إلى ذلك المكان ، أو لأولئك القوم ، على غيرهم من البشر ، وكذلك ما ورد في النصوص من ذم بعض الأماكن ، وذكر ما فيها من الشر ، فلا يعني ذلك - بأي حال من الأحوال - ذم وانتقاص جميع من ينتمي إلى ذلك المكان .

والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات/13

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه مسلم (2564)

فميزان الصلاح والفساد هو القلب والعمل ، وليس القبيلة أو العرق أو الجنس أو اللون ، وهذا التقرير متفق عليه بين أهل العلم

روى مالك في "الموطأ" (1459) عن يحيى بن سعيد : أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي أن هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة - يعني بلاد الشام - ، فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقُدس أحداً ، وإنما يُقَدِّسُ الإنسانَ عمله " انتهى .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (47-27/45) :

" وهو كما قال سلمان الفارسي ، فإن مكة حرسها الله تعالى أشرف البقاع ، وقد كانت في غربة الإسلام دار كفر وحرب يحرم المقام بها ، وحرّم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها ، وقد كانت الشام في زمن موسى عليه السلام قبل خروجه ببني إسرائيل دار الصابئة المشركين الجابرة الفاسقين ، وفيها قال تعالى لبني إسرائيل: (سَأَرْيَكُم دَارَ الْفَاسِقِينَ) فإن كون الأرض دار كفر أو دار السلام أو إيمان ، أو دار سلم أو حرب ، أو دار طاعة أو معصية ، أو دار المؤمنين أو الفاسقين ، أو صافٍ عارضةً لا لازمة ، فقد تنتقل من وصف إلى وصف ، كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمان والعلم ، وكذلك بالعكس .

وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان والعمل الصالح ، كما قال تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا وال نصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم) الآية . وقال تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه) الآية . وقال تعالى : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم) فلا ينبغي للرجل أن يلتفت إلى فضل البقعة في فضل أهلها مطلقاً ، بل يعطي كل ذي حق حقه ، ولكن العبرة بفضل الإنسان في إيمانه وعمله الصالح والكلم الطيب .

وإذا فضلت جملة على جملة لم يستلزم ذلك تفضيل الأفراد على الأفراد : كتفضيل القرن الثاني على الثالث ، وتفضيل العرب على ما سواهم ، وتفضيل قريش على ما سواهم ، فهذا هذا والله أعلم " انتهى .

المسألة الثانية :

وعليه فلا يجوز أن يفهم الحديث السابق على أنه ذم لجميع أهل نجد عبر التاريخ ، بل وليس فيه ذم (نجد) مطلقاً ، وإنما ورد الذم والتنفير عنها مقيداً بوجود الفتن والشُرور ، ولا يلزم أن يكون ذلك في جميع القرون مُطَرِّداً ، بل قد يكون في عصر من العصور منارة علم وهدى وفضل وخير .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "مجموعة الرسائل والمسائل" (4/265) :

" وعلى كل حال ؛ فالذم إنما يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت ، بحسب حال الساكن ؛ لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل ، وإن كانت الأماكن تتفاضل ، وقد تقع المداولة فيها ، فإن الله يداول بين خلقه ، حتى في البقاع ، فمحل المعصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر ، وبالعكس " انتهى .

المسألة الثالثة :

ليس في لفظ الحديث ذم لأهل (نجد) وساكنيها ، وإنما فيه ذكر الفتن والشُرور التي ستقع وتخرج منها ، ولا يعني ذلك ذم الساكنين مطلقاً .

فقد جاء في السنة النبوية ذكر وقوع الفتن في المدينة المنورة ، كقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : (إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ) رواه البخاري (1878) ومسلم (2885) ولا يجوز أن يفهم من ذلك أي ذم لأهل المدينة المنورة .

يقول الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (ت 1326هـ) في كتابه "صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان" (ص/500) :
 " وهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في هذا الباب دالة على وقوع الفتن في المدينة النبوية ، فلو كان وقوع الفتن في موضع مستلزماً لذم ساكنيه ، لزم ذم سكان المدينة كلهم أجمعين ، وهذا لا يقول به أحد ، على أن مكة والمدينة كانتا في زمن موضع الشرك والكفر ، وأي فتنة أكبر منهما ، بل وما من بلد أو قرية إلا وقد كانت في زمن أو ستصير في زمان موضع الفتنة ، فكيف يجترئ مؤمن على ذم جميع مسلمي الدنيا ؟ وإنما مناط ذم شخص معين كونه مصدراً للفتن من الكفر والشرك والبدع " انتهى .

فالمقصود من الحديث هو ذكر ما سيقع في منطقة (نجد) من الفتن والبلايا العظيمة في مرحلة من التاريخ ، وأنها ستكون كالزلازل التي تطال كل من فيها ، وسيكون كثير من أهل تلك البلاد ضحايا الفتنة ، ولا يعني أن جميع أهلها هم من يثيرها ويقوم عليها ، ومن فهم ذلك من الحديث فقد أساء وظلم .

يقول الشيخ الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (5/305) :

" وجهلوا أيضاً أن كون الرجل من بعض البلاد المذمومة لا يستلزم أنه هو مذموم أيضاً إذا كان صالحاً في نفسه ، والعكس بالعكس ، فكم في مكة والمدينة والشام من فاسق وفاجر ، وفي العراق من عالم وصالح ، وما أحكم قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء حينما دعاه أن يهاجر من العراق إلى الشام : أما بعد ، فإن الأرض المقدسة لا تقدر أحداً ، وإنما يقدس الإنسان بعمله " انتهى .

المسألة الرابعة :

فسر العلماء المتقدمون هذا الحديث ، وقالوا المقصود بالفتن التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم هي فتنة مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، والشر الذي يأتي به ، وما يلحقه من المتنبيين الكذابين .

يقول الحافظ ابن حبان رحمه الله كما في "الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان" (15/24) بعد أن روى حديث عبد الله بن عمر أنه قال : (ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير نحو المشرق ويقول : إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان)

قال أبو حاتم رحمه الله : " مشرق المدينة هو البحرين ، ومسيلمة منها ، وخروجه كان أول حادث حدث في الإسلام " انتهى .
 كما فسره بعض أهل العلم أيضاً بالفتن التي تحدث في (العراق) ، فهي في جهة المشرق عموماً بالنسبة لمن في الحجاز ، وفي العراق (نجد) أيضاً ، فإن كل منطقة مرتفعة بالنسبة لغيرها تسمى نجداً ، وقد شملها بعض الصحابة في فهمهم لهذا الحديث :

فعن سالم بن عبد الله بن عمر قال : (يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ! مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ وَأَرْكَبُكُمْ لِلْكَبِيرَةِ ! سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا - وَأَوَّماً بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (رواه مسلم (2905)

فالحديث يشمل كل (نجد) : أي كل مرتفع من الأرض بالنسبة للحجاز في جهة المشرق ، وذلك يشمل نجد الحجاز ونجد العراق .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "مجموع الفتاوى" (42-27/41) :

" هذه لغة أهل المدينة النبوية في ذاك الزمان ، كانوا يسمون أهل نجد والعراق أهل المشرق " انتهى .

ويقول الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (13/47) :

" كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية ، فكان كما أخبر ، وأول الفتن كان من قبل المشرق ، فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة .

وقال الخطابي : (نجد) من جهة المشرق ، وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نَجْدُهُ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ وَنَوَاحِيهَا ، وَهِيَ مَشْرِقُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَأَصْلُ النَّجْدِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْغُورِ فَإِنَّهُ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا ، وَتَهَامَةُ كُلِّهَا مِنَ الْغُورِ وَمَكَّةُ مِنْ تَهَامَةٍ . انتهى كلام الخطابي .

وعُرف بهذا وهاء ما قاله الداودي : أن (نجدا) من ناحية العراق ، فإنه توهم أن نجدا موضع مخصوص ، وليس كذلك ، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجدا ، والمنخفض غورا " انتهى كلام الحافظ ابن حجر .

ويقول علامة العراق محمود شكري الآلوسي عن بلده العراق في "غاية الأمانى" (2/148) :

" ولا بدع ، فبلاد العراق معدن كل محنة وبليّة ، ولم يزل أهل الإسلام منها في رزية بعد رزية ، فأهل حروراء وما جرى منهم على الإسلام لا يخفى ، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الإسلام إنما خرجت ونبغت بالعراق ، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به...إنما نبغوا وظهروا بالبصرة ، ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت ، والقول الشنيع في علي وسائر الأئمة ومسبة أكابر الصحابة..كل هذا معروف مستفيض " انتهى باختصار .

وللشيخ "حكيم محمد أشرف سندھو" رحمه الله ، رسالة في بيان ما ذكرناه بعنوان : " أكمل البيان في شرح حديث : نجد قرن الشيطان " ، وهي مطبوعة ، قال الشيخ عبد القادر بن حبيب الله السندي في تقديمه لها - ص (8) - :

" والموضع الذي يُعَيَّن من قِبَلِ أَهْلِ الْجَهْلِ والضلالة اليوم [يعني : نجد المعروف في السعودية]

لم يقله أحد من السلف ولا من الخلف ، إلا بعد ظهور دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، التجديدية للدين الحنيف ، إلا هؤلاء الذين لم يفهموا هذه العقيدة الصحيحة ، أو يتجاهلون عنها ، ولم يعرفوا التاريخ الإسلامي الصحيح الذي يدلهم على تلك الفتن العظيمة التي ظهرت ظهورا واضحا بينا في ذلك النجد الحقيقي ... " انتهى .

المسألة الخامسة :

ويخطئ كثير من الناس حين يظنون أن المقصود بـ (قرن الشيطان) شخص معين ، إذ المقصود هو مطلع الشمس وما يعترضها عند الشروق ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (فَإِنَّهَا - يَعْنِي الشَّمْسُ - تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ) رواه البخاري

(3273) ومسلم (612)

ودليل ذلك ما في رواية البخاري (7092) : قال صلى الله عليه وسلم : (الْفِتْنَةُ هَا هُنَا ، الْفِتْنَةُ هَا هُنَا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ ، أَوْ قَالَ : قَرْنُ الشَّمْسِ) والشك من الراوي .

يقول الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (13/46) :

"وأما قوله: "قرن الشمس" فقال الداودي : للشمس قرن حقيقة ، ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان ، وما يستعين به على الإضلال ، وهذا أوجه ، وقيل إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عبدتها له ، قيل : ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه " انتهى .

المسألة السابعة :

فأي حجة تبقى بعد ذلك لمن استدل بهذا الحديث على ذم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ودعوته التجديدية !!؟
وبأي برهان يُعَيَّنُ بعضُ الحاقدين – من غلاة المتصوفة ومن الرافضة – مقصودَ النبي صلى الله عليه وسلم من الذم في واحد من أشهر علماء المسلمين ، وأشهر دعاة الإصلاح في القرون المتأخرة ، والذي تحمل دعوة التوحيد علما وعملا ودعوة ، وعدّه أهل العلم مجدّد ذلك القرن؟!؟

أهكذا تُفسَّرُ الأحاديث النبوية ، بالهوى والتشهي !

وهكذا تحول الأحاديث لأغراض مذهبية أو عنصرية أو طائفية ؟!!

وانظر عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للفائدة : جواب السؤال رقم (36616)

والله أعلم .